دور المحدثين العلمي والعملي
في مواجهة الغلاء والقحط

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الأستاذ الدكتور/ عمر محمد عبد المنعم الفرماوي

الأستاذ في تخصص الحديث وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين

في تخصص الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

ملخص البحث باللغة العربية

دور المحدثين العلمي والعملي في مواجهة الغلاء والقحط

عمر محمد الفرماوي

قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: alfrmawi@azhar.edu.eg

الملخص:

* لا شك أن أوقاتاً عصيبة قد مرت على الأمة، حيث أحد أسبابها: الغلاء والقحط؛ لذا هب أولوا الأحلام والنهى لمواجهة ذلك، وكان المحدثون في طليعة المتصدين، ولا غرو؛ إذ كانوا وما زالوا هم القاطرة التي تحث الناس على إخراج صدقاتهم عن طيب خاطر في مواجهة تلك الكوارث، وقد كان دورهم بارزاً من خلال:

أ-حشدهم للنصوص القرآنية والنبوية، محل الموضوع، وتوضيحها للناس؛ تأجيجاً لمشاعرهم وتهييجاً لعواطفهم؛ وذلك لإخراج ما يجودون به عن طيب نفس؛ وفاءً بحق الفقراء، وإرضاءً لله تعالى.

ب- القدوة العملية التي قام بها مَن توافرت فيه شروط الإنفاق والصدقات.

غير أني لاحظت قلة الوارد من الأخبار عن المحدثين وحالات إنفاقهم لمواجهة الغلاء والقحط؛ ولعل ذلك راجع لقلة الأثرياء منهم.

ربما لأن أكثر المحدثين كانوا من المستورين معيشياً؛ إذ أنهم ما كانوا يدخلون على الحكام، وما كان ديدنهم في الحياة محاولة الحصول على الثروات ورغد العيش، بل كان عيشهم الكفاف، وقد كان سيدهم ﷺ يمر عليه الشهر والشهران ولا يوقد في بيته ناراً؛ لذا كان البعض منهم يتخذ مِهناً تغنيه عن الناس، وعن عطايا الحكام، فكان سعيد بن المسيب زيّاتاً.

صحيح أنني وجدت عددا من المحدثين كانوا من الأثرياء مثل الأئمة: البخاري، وابن المبارك، والليث بن سعد، الذين ضربوا نماذج للإنفاق والبذل والعطاء، لكن غالبية المحدثين لم يكونوا كذلك!

الكلمات المفتاحية: الغلاء، المحدثون، القحط، الصدقة، الفقر.

****

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The scientific and practical role of The hadith scholars in confronting high prices

Omar Mohamad Alfrmawi
Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: alfrmawi@azhar.edu.eg

Abstract:

There is no doubt that the nation has gone through difficult times, where one of the reasons is high prices and drought, so they gave dreams to face this, and Al-Muhadethun were at the forefront of the confrontations

No wonder; they were and still are the fronts urging people to willingly take out their money in the face of these disasters.

That's through:

A- Mobilizing the Qur'anic and Prophetic texts in question and clarifying them to people in order to bring out what they find willingly, in fulfillment of the rights of the poor and pleasing to Allah

B- The practical example carried out by those who meet the conditions of spending and charity.

However, I noticed the lack of news about the hadith scholars and their spending to cope with the high prices and droughts, perhaps due

to the lack of wealthy among them

Maybe because the hadith scholars are mostly from the hidden living

It is true that I found a number of hadiths who were wealthy such as the imams: al-Bukhari, Ibn al-Mubarak, and al-Laith bin Saad, who set models for spending, giving and giving, but the majority of the hadiths were not!

Keywords: High prices, Al-Muhadethun, Drought, Al-Sadaqh, Poverty.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

* إن الغلاء القحط في أيامنا هذه قد صار ظاهرة تستحق المواجهة، كما كان ذلك قديماً، وقد أردت في هذه الورقة أن أبين هنا أن المحدثين كان لهم دور لا يغفل في مواجهة ذلك، صحيح أن الفقهاء والاقتصاديين قد ذكروا طرقاً من خلالها يتم مواجهة ذلك، منها: تكثيف العطاء من الصدقات الواجبات، والمندوبات، وعدم الاحتكار، وعدم الغش والتدليس، وانتهاز الفرص، ونشر ثقافة التعاون على البر والتقوى وغير ذلك. لكن الناس الذين يودون ذلك، يحتاجون إلى من يهيج مشاعرهم تجاه تلك الطرق، ليجودوا بما بين أيديهم، والقيام بذلك بنفس راضية.

* ولأن المحدثين من أفراد الأمة، يعتريهم ما يعتري غيرهم، ويتميزون عن غيرهم بأنهم حملة الإرث النبوي، والوحي الإلهي في السنة المشرفة، إذ هم القدوة لغيرهم في المحن والأزمات، وقد رأيتُ أن المحدثين على مدار أغلب العصور كانوا هم القاطرة التي تحث الناس على إخراج صدقاتهم عن طيب خاطر في مواجهة الغلاء والقحط، وذلك من خلال:

أ-حشدهم للنصوص القرآنية والنبوية، محل الموضوع، وتوضيحها للناس، وأيضاً بتأجيج مشاعر الناس، وتهييج عواطفهم؛ لإخراج ما يجودون به عن طيب خاطر؛ وفاءً بحق الفقير، وإرضاء لله تعالى، ورجاء ما عنده سبحانه.

ب- القدوة العملية التي قام بها مَن توافرت فيه شروط الإنفاق والصدقات.

غير أني لاحظت قلة الوارد من الأخبار عن المحدثين وحالات إنفاقهم لمواجهة القحط أو موقفهم من الغلاء؛ ولعل ذلك راجع لقلة الأثرياء منهم، وربما لأن أكثر المحدثين من المستورين؛ إذ أنهم ما كانوا يدخلون على الأمراء والخلفاء، وما كان ديدنهم في الحياة محاولة الحصول على الثروات ورغد العيش، بل كان عيشهم الكفاف؛ وقد كان سيدهم ﷺ يمر عليه الشهر والشهران، ولا يوجد في بيته نار، وكان البعض منهم يتخذ من المهن ما يغنيه عن الناس، وعن عطايا الحكام، فكان سعيد بن المسيب زياتاً، وكان أبو صالح السمان ذكوان، يتجر بالسمن والزيت، صحيح أنني

وجدت عدداً من المحدثين كانوا من الأثرياء مثل: الإمام البخاري، ويحيى ابن معين، وابن المبارك والليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، ودَعْلَج، وكانوا قد ضربوا نماذج للإنفاق والبذل والعطاء، لكن غالبية المحدثين لم يكونوا كذلك!

الكلمات الرئيسية: الغلاء، المحدثون، القحط، الصدقة، الفقر، المسغبة.

الدراسات السابقة: لم أجد حسب علمي بحثاً في ذلك، كما لم أجد بحثاً قد تضمن الحديث عن درو المحدثين في مواجهة الغلاء والفقر والقحط.

منهج البحث: اتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي.

حدود البحث: دور المحدثين العلمي والعملي في مواجهة الغلاء والقحط.

أسئلة البحث: يجيب البحث عن عدد من التساؤلات منها: هل وردت روايات في السنة النبوية تحث على الإنفاق فرضاً ونفلاً؟ وهل للمحدثين دور علمي وعملي في مواجهة الغلاء والقحط؟ وهل يجوز للحاكم أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء ليكفلوهم ويعينوهم ويواسوهم بأموالهم أيام المسغبة؟ وهل توجد مظلة شرعية لهذا التصرف إن كان؟ وهل هناك من اشتهر من المحدثين ممن جاد بماله لمساعدة الناس في الأزمات؟

خطة البحث: يشتمل البحث على مبحثين:

المبحث الأول: الجانب العلمي عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط، ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الدور العلمي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط.

المطلب الثاني: هل يجوز للحاكم أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء؛ ليكفلوهم ويواسوهم بأموالهم أيام المسغبة؟

المبحث الثاني: الجانب العملي عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط، ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدور التطبيقي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط.

المطلب الثاني: حال بعض المحدثين أيام المسغبة والغلاء.

المطلب الثالث: نماذج من المحدثين الأثرياء، وجهدهم في مواجهة القحط والمسغبة:

وفي الخاتمة: تحدثت عن النتائج والتوصيات، وأعقبت ذلك بقائمة بأهم المصادر والمراجع.

وقد حرصت على أن يكون البحث مكتوبًا بأسلوب سهل، وعبارة واضحة، وتأصيل للمعلومة، حتى يؤدي الغرض الذي كُتب من أجله، وهو إبراز دور المحدثين في مواجهة الغلاء والقحط، حيث صار ذلك من سمات هذا العصر، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والحمد لله رب العالمين

أ. د / عمر محمد عبد المنعم الفرماوي

الأستاذ في تخصص الحديث وعلومه في كلية أصول الدين

والدعوة بالمنصورة

عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة

المساعدين في تخصص الحديث وعلومه

الثامن والعشرون من شهر جمادي الأولى من العام ١٤٤٥ من

هجرة النبي محمد ﷺ

الحادي عشر من ديسمبر سنة ٢٠٢٣ من ميلاد السيد المسيح

عيسى ابن مريم عليه السلام

* إن المحدثين من أفراد الأمة، ويعتريهم ما يعتري غيرهم، ولأن المحدثين يتميزون عن غيرهم بأنهم حملة الإرث النبوي، والوحي الإلهي في السنة المشرفة، فإنهم كانوا قدوة لغيرهم في المحن والأزمات. وقد كان لهم جهدهم في مواجهة الغلاء علمياً وعملياً، وهو ما سأتحدث عنه من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الجانب العلمي، عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط.

المطلب الأول: الدور العلمي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط

قام المحدثون من خلال حفظهم وفهمهم للسنة النبوية بتوضيحها للناس بشكل عام، وخصوصاً الأحاديث المتعلقة بالإنفاق بشكل خاص، وقد ظهر ذلك من خلال تراجمهم للأبواب الفقهية التي جمعوا تحتها الأحاديث التي تحث على الإنفاق مثل: الصدقة من كسب طيب، صدقة السر، صدقة العلانية، الحث على الصدقة، الحث على النفقة، الحث على الإنفاق، وكراهة الإحصاء، الحث على الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من القليل لاحتقاره... ونحو ذلك. وشرحوا النصوص بما يحث الأغنياء على احتواء الفقراء، وبما يحث الفقير عن عدم تبرمه لحاله، بل حثه على العمل، وبذل الوسع في تحصيل المال.

* فبينوا أن صدقة السر لها محلها، وصدقة العلانية لها محلها، قال ابن بطال: ولا خلاف بين أئمة العلم أن إعلان صدقة الفريضة أفضل من إسرارها، وأن إسرار صدقة النافلة أفضل من إعلانها.[1]

قال: عند كافة العلماء أن صدقة السر في التطوع أفضل من العلانية، وتأولوا قوله، ﷺ: «فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»،[1] أن المراد بذلك صدقة التطوع، وروى عن ابن

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣ / ٤٢٠.

عباس في قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: جعل الله تعالى صدقة التطوع في السرِّ تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا، وجعل صدقة الفرض علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفًا، وكذلك جميع الفرائض، والنوافل في الأشياء كلها.(٢)

وقال سفيان: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: سوى الزكاة، وهذا قول كالإجماع.(٣)

* إن المحدثين من وجهة نظري هم القاطرة التي تحث الناس على إخراج صدقاتهم عن طيب خاطر في مواجهة الغلاء، وذلك من خلال حشدهم للنصوص القرآنية والنبوية، محل الموضوع، وتوضيحها للناس، وذلك بتأجيج مشاعرهم، وتهييج عواطفهم؛ لإخراج ما يجودون به عن طيب خاطر؛ رجاء ما عند الله تعالى؛ ورغبة في جنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين؛ الذين ينفقون في السراء والضراء، ووفاءً بحق الفقراء.

كيف لا وقائدهم في ذلك رسول الله ﷺ منبع السنة النبوية المشرفة، فإنه ﷺ لما رأى قومًا من مُضر، أو جلهم من مضر، قدموا عليه، وقد أصابتهم حالة من الفقر الشديد، والمخمصة البالغة، كما

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب الصدقة باليمن ٢ / ١٣٨ ومسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ٢ / ٧١٥ ح رقم ١٠٣١ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٥ / ١٥ فيه المثنى بن إبراهيم الآملي شيخ الطبري لم أقف له على ترجمة وبقية رواته صدوقون.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣ / ٤٢١.

وصف النص الشريف الصحيح حالهم بأنهم: «حفاة، عراة، مجتابي النمار أو العباء»،[1] فلا يكاد يلبسون إلا ما يسترهم.

وهذه الحالة -على ما يظهر- أثر من آثار الفقر، الناتج عن الغلاء، أو القحط، أو كليهما؛ فظهور أناس في زمن النبوة لا يملكون ما ينتعلون به، ولا ما يسترون به، يحتاج إلى وقفة من النبي ﷺ.

فقام النبي ﷺ خطيباً، فهيج العواطف، ودعا الناس إلى الصدقة، وحثهم عليها، أياً كان مقدراها، وقيمتها، فتدافع الناس، وأخرجوا ما عندهم، مهما كان قليلاً؛ إذ كان تعبير راوي الحديث شديد البلاغة والوصف، «حفاة عراة».

فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال: فجاءه قوم حفاة، عراة، مجتابِي النِّمار، أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر.

فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل، ثم خرج. فأمر بلال فأذن وأقام. فصلى ثم خطب.

فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

---

(١) قال ابن الأثير: قوم مجتابي النمار، أي: لابسيها. يقال اجتبت القميص: أي دخلت فيه. وكل شيء قطع وسطه فهو مجوب ومجوب، وبه سمي جيب القميص. النهاية ١ / ٣١٠، وقال عن قوله: (النمار)، كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة، وجمعها: نمار، كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض. وهي من الصفات الغالبة، أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف. النهاية ٥ / ١١٨

لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: ١٨] «تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة».

قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت.

قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثبات. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مُذهَبة.

فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».(١)

أما موقف المحدثين فإنهم إنْ وجدوا أن النص الشريف لا يحتاج إلى تعليق لوضوحه فإنهم يكتفون فقط بإيراد الحديث، أما إن كان النص يحتاج إلى بيان كلي أو جزئي، فإنهم لا يتأخرون عن ذلك.

لذا فمن الممكن التعليق على النص المبارك بعد بذل الجهد، واستفراغ الوسع، وضعف اللغة عند المتأخرين:

إن الحديث يمثل حالة من الجَهد، والفقر، والقحط، الذي أصاب طائفة من المسلمين، فجاءوا إلى النبي ﷺ على الحالة التي صورها راوي الحديث: «حفاة، عراة، مجتابي النمار، أو العباء».

فبين النبي ﷺ الواجب على المسلمين وقتها-وفي كل وقت- تجاه إخوانهم الذين هذه حالهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار ٣ / ٨٦ ح رقم ١٠١٧ طبعة دار الطباعة العامرة تركيا. ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى.

فظهر التكافل الاجتماعي، والبذل، والعطاء، والإيثار المنشود، بالرغم من أنهم ليسوا من المدينة؛ وكان ذلك في أبهى صورة، وأجمل منظر.

إن انقباض وجه النبي ﷺ وتغيره، وظهور حالة عدم الرضا عن حال القوم، كانت إشارة كافية للصحابة الحضور للتحرك، والقيام بما يجب القيام به تجاه إخوانهم؛ لإزالة آثار حالة الفقر أو الغلاء أو القحط، فالعري، وعدم لبس النعال، والثياب المهلهلة. أثر لكل ما سبق.

بل إن النبي ﷺ لم يكتف بالإشارة، ففضل أن يصرح بالعبارة لمن كان بعيداً من الصحابة، إذ الأمر أشد في معالجته من مجرد الإشارة، فحال إخوانهم يُرثى له.

فخطب، وحث الصحابة ممن يملكون قوت يومهم بالتصدق، حتى ولو كان المتصدق به شطر تمرة! نعم شطر تمرة! فقال: «تصدق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة».

إن الشعور الذي ينتاب الفقير عندما يعلم أن أخاه قد جاد بما يستطيع، هو شعور بالرضا، والامتنان، فهذا الصنيع يمسح على ظهره، ويربت على كتفه، ويواسي حاله، فيرضى بما قُدم له، مهما كان قليلاً، وقد كان.

قال جرير: فجاء رجلٌ من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت. – لثقلها وكبرها – قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب.

لقد جاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما استطاعوا، وبما كان في بيوتهم مما فضل أو لم يفضل عليهم، حتى أشرق وجه النبي ﷺ وسُر، واستبشر.

قال القاضي: وسروره ﷺ هنا لوجهين: أحدهما: لما ظهر من إجابة المسلمين له وبذلهم أموالهم

في الله، وجودهم بالصدقة، والثاني: لما فتح الله بذلك على هذه الدافة العراة المحاويج.[١]

وقال القرطبي: وسروره ﷺ بذلك فرحٌ بما ظهر من فعل المسلمين، ومن سهولة البذل عليهم، ومبادرتهم لذلك، وبما كشف الله من فاقات أولئك المحاويج.[٢]

وقال الدكتور موسى شاهين: الظاهر أن الصرة كان بها طعام أو ثياب، لظاهر قوله بعد: «كومين من طعام وثياب»، ولو كانت من دراهم ودنانير لأغنت عن الكومين، ولذكرت.[٣]

قلت: مما يدل على أن غالبية الصحابة لم يكونوا من الأثرياء، بل من المستورين.

قال القرطبي: وقوله: «من سن في الإسلام سنّة حسنة»؛ أي: من فعل فعلاً جميلاً فاقتدي به فيه، وكذلك إذا فعل قبيحًا فاقتدي به فيه، ويفيد الترغيب في الخير المتكرر أجره؛ بسبب الاقتداء، والتحذير من الشر المتكرر إثمه بسبب الاقتداء.[٤]

إن تعبير النبي ﷺ بقوله في المحسن: «من غير أن ينقص من أجورهم شيء». وفي المسيء: «من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»؛ لأن الأُوَل جرّأوا الناس على فعل الخير، وكان الفريق الثاني يستحق ذلك؛ لكسره حاجز الحياء والخوف من الله تعالى؛ لذا كان الجزاء من جنس العمل.

* وقد روى المحدثون هذا الحدث المهم الذي يُبنى عليه الكثير من الفوائد التي لا تُغفل، ويظهر بما لا يحتاج مزيد توضيح، الحث على الصدقة، وأن الذي ينفق للفقراء والمساكين هو الباقي، والذي يُستهلك هو الفاني، فعن عائشة ﵂، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها»؟

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣ / ٥٤٠

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٦٣

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٤ / ٣٤٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٦٣

قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بقي كلها غير كتفها».[١] إنه درس عملي للحث على الإنفاق والصدقة، وبيان أن ما ينفق في إطعام المحتاج هو الباقي وما يستهلكه أهل الذبيحة هو الفاني؛ وذلك تطييبًا لخاطرهم، وحثهم على الإنفاق، والعاقل هو الذي يفضل الباقي على الفاني.

* كما فسروا هذا الحديث بعد روايته، والذي يُظهر أن التفاؤل له دور مهم في جداً في الحالة النفسية لدى من أصيب بالفاقة – لأي سبب–، وأن من تفاءل بالخير وجده، ومن هنا كان صنيع النبي ﷺ بقلب الرداء يوم الاستسقاء من هذا الباب.

فعن عبد الله بن زيد المازني الأنصاري رضي الله عنه «أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى، فاستقبل القبلة، وقلب رداءه، وصلى ركعتين».[٢]

وفي رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «استسقى رسول الله ﷺ، وحول رداءه ليتحول القحط».[٣]

قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلْبُ الرداء حتى تُحوَّل السَّنَةُ، يصير الغلاء رخصاً.[٤]

وقال الزيلعي: ذكر العلماء أن تحويل الرداء من النبي ﷺ كان تفاؤلاً؛ لأنه انتقال من هيئة إلى هيئة، وتحول من شيء إلى شيء، ليكون ذلك علامة لانتقالهم من الجدب إلى الخصب، وتحولهم

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق ولم يترجم للباب ٤ / ٦٤٤ ح رقم ٢٤٧٠ وقال: هذا حديث صحيح

(٢) أخرجه البخاري كتاب الاستسقاء باب تحويل الرداء في الاستسقاء ٢ / ٢٧ ح رقم ١٠١٢ واللفظ له، ومسلم كتاب الاستسقاء كتاب صلاة الاستسقاء ٢ / ٦١١ ح رقم ٨٩٤

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الاستسقاء باب تقلب الرداء والتكبيرات والقراءة في صلاة الاستسقاء ١ / ٣٢٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: غريب عجيب صحيح

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٦ / ٣٨٥ عقب الحديث رقم ١٦٤٦٠

من الشدة إلى الرخاء.[١] وقال الكرماني: وشرع التحويل تفاؤلاً بتغيير الحال من القحط إلى الخصب، ومن الضيق إلى السعة.[٢]

* وقد جاءت الروايات التي رواها المحدثون تترا، تحث على الإنفاق والصدقة وعدم احتقار المتصدق به، حتى ولو كان ظلف شاة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فِرْسِنَ شاة».[٣]

قال أبو موسى المديني: والفِرْسِنُ: عظم قليل اللحم، وهو للشاة والبعير بمنزلة الحافر للدابة.[٤] وقال ابن الأثير: الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة، فيقال: فرسن شاة، والذي للشاة هو الظلف. والنون زائدة، وقيل أصلية.[٥] وقال الحافظ: هو للبعير موضع الحافر للفرس، ويطلق على الشاة مجازاً.[٦]

وقال النووي: وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها؛ لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر، وإن كان

---

(١) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ٢ / ٤٣٢

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري٦ / ١٠٥

(٣) أخرجه البخاري في أول كتاب الهبة وفضلها ٣ / ١٥٣ ح رقم ٢٥٦٦ ومسلم كتب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره ٢ / ٧١٤ ح رقم ١٠٣٠

(٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢ / ٦٠٥

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٢٩

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥ / ١٩٨

قليلاً، كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».(١)

وقال ابن بطال: في هذا الحديث الحض على مهاداة الجار وصلته، وإنما أشار النبي ﷺ بفرسن الشاة إلى القليل من الهدية، لا إلى إعطاء الفرسن؛ لأنه لا فائدة فيه.(٢)

قلت: وقد يكون منه ذلك، كما سيرد بعد قليل.

وقال ابن عبد البر: في هذا الحديث الحض على الصدقة بكل ما أمكن، من قليل الأشياء وكثيرها، وفي قول الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ أوضح الدلائل في هذا الباب.(٣)

وقال القاضي: وقوله: أصل الفرسن في الإبل، وهو مثل القدم من الإنسان، وحكى أهل اللغة أنه لا يقال إلا في البعير، وهذا الحديث يرد قولهم. قال: قيل يحتمل أن يكون النهى عن الاحتقار للمعطاة، ويحتمل أن يكون ذلك للمعطية، وأن تصل جارتها بما أمكنها ولا يمنعها إن لم تجد الكثير أن تصل بالقليل.(٤)

وقال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه، ألا يحقر قليل المعروف؛ فإنه لا يحقره إلا قليل العلم، فإنه إذا نظر إلى ما يتقبل الله تعالى منه لم يسغ له احتقار شيء يتقبله الله تعالى.(٥)

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٧ / ١٢٠ والحديث أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ٢ / ١٠٩ ح رقم ١٤١٧ ومسلم كتاب الزكاة ٢٠-باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار ٢ / ٧٠٣ ح رقم ١٠١٦ كلاهما من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩ / ٢٢٢

(٣) التمهيد – ابن عبد البر٤ / ٣٠١ ط المغربية

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣ / ٥٦١

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦ / ٢٧١

وقال المهلب بن أبي صفرة: فيه الحض على التهادي والمتاحفة ولو باليسير؛ لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، واصطفاء الجيرة، ولما فيه من التعاون على أمر العيشة المقيمة للإرماق، وأيضًا فإن الهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط للمئونة، وأسهل على المهدى لإطراح التكليف.(١)

وقال الحافظ: وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله، لا إلى حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه.(٢)

قلت: غير أنه قد توجد من الأحداث ما يجعلهم يضطرون لإهدائه، حيث إنهم في أيام القحط والمجاعات كانوا يقومون بحرقه، وسفه بالماء، ولعل هذا يكون تفسير بعض الروايات التي تحث على التصدق، ولو كان المتصدق به: ظلف محرق. فعن عبد الرحمن بن بجيد أخي بني حارثة، أنه حدثته جدته -وهي أم بُجَيد، وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ - قالت لرسول الله ﷺ: والله إن المسكين ليقوم على بابي، فما أجد له شيئًا أعطيه إياه، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي له شيئًا تعطينه إياه إلا ظلفًا محرقًا فادفعيه إليه».(٣) وفي رواية: «فادفعيه إليه في يده».(٤) قال ابن الملقن: قال: «تصدقوا لو بظلف محرق»، وفي لفظ: «ولو فرسن شاة»، وليسا مما ينتفع بهما ولا

---

(١) شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٨٥

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥ / ١٩٨

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٥ / ١٢٨ ح رقم ٢٧١٥٠

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة باب حق السائل ٢ / ١٢٦ ح رقم ١٦٦٧ والترمذي كتاب الزكاة باب ما جاء في حق السائل ٣ / ٤٤ ح رقم ٦٦٥ وقال: حديث أم بجيد حديث حسن صحيح

يتصدق بهما، لكن ذكر غير واحد: أنهما كانوا يحرقونه، ويستفونه، ويشربون عليه الماء أيام المجاعة.(١)

* وعن أسماء بنت أبي بكر؛ أنها جاءت النبي ﷺ. فقالت: يا نبي الله! ليس لي شيء إلا ما أدخل علي الزبير، فهل عليّ جناح أن أرضخ مما يدخل عليّ؟ فقال: «ارضخي ما استطعت. ولا توعي فيوعِي الله عليك».(٢)

وفي معنى الحديث قال ابن بطال: دل هذا الحديث أن الصدقة قد تنمى المال، وتكون سببًا إلى البركة والزيادة فيه، وأن من شح ولم يتصدق، فإن الله يوكى عليه، ويمنعه من البركة في ماله والنماء فيه. وقوله ﷺ: «ارضخي ما استطعت»، أي تصدقي ما استطعت، والعرب تقول: رضخ له من ماله رضخًا، أي أعطاه قليلاً من كثير، عن صاحب الأفعال».(٣)

وقال المازَري: إن كانت إنما سألته عن الإعطاء مما يعطيها الزبير نفقة لها فبين جوازه، وإن كان إنما أرادت بقولها: «مما يُدخل عليّ الزبير» أي مما كان ملكًا له، فيكون محمل ذلك على أنه لا يكره ذلك منها، وأنها عادة عوَّدوها أزواجهم.(٤)

وقال النووي: هذا محمول على ما أعطاها الزبير لنفسها بسبب نفقة وغيرها، أو مما هو ملك الزبير، ولا يكره الصدقة منه، بل رَضي بها على عادة غالب الناس.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٤ / ١٢٩

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب الصدقة فيما استطاع ٢ / ١١٣ح رقم ١٤٣٤، ومسلم كتاب الزكاة ٢٨- باب الحث في الإنفاق، وكراهة الإحصاء ٢ / ٧١٤ ح رقم ١٠٢٩ واللفظ له

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣ / ٤٣٦

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٢ / ٢٦

قال: وقوله ﷺ «ارضخي ما استطعت» معناه: مما يرضى به الزبير، وتقديره: أن لك في الرضخ مراتب مباحة، بعضها فوق بعض، وكلها يرضاها الزبير، فافعلي أعلاها.

قال: أو يكون معناه ما استطعت مما هو ملك لك.

قال: وقوله ﷺ: «ولا تحصي فيحصي الله عليك ويوعي عليك» هو من باب مقابلة اللفظ باللفظ للتجنيس، كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: ٥٤].

قال: ومعناه: يمنعك كما منعت، ويقتر عليك كما قترت، ويمسك فضله عنك كما أمسكته، وقيل: معنى لا تحصي، أي: لا تعديه فتستكثريه، فيكون سبباً لانقطاع إنفاقك.(١)

* هذا ... وقد وردت أحاديث عالجت جزءاً من الفقر والحاجة التي تعتري بعض الناس، وتوجب حلاً سريعاً، ولا يكون الزوج في المنزل، فتضطر الزوجة لمعالجة ذلك قدر طاقتها، فوردت الروايات التي تنظم ذلك.

غير أنه قد ظهر هناك بعض الاختلاف في كيفية الجمع بين بعضها؛ حيث هناك بعض الروايات تجيز العطاء من بيت الزوج على الإطلاق، وثانية تمنع، وأخرى تضع قيوداً.

فهذه أحاديث تدل على منع المرأة أن تنفق من بيت زوجها إلا بإذنه، منها:

-حديث أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «لا تنفق امرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها»، قيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا».(٢)

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٧ / ١١٩

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الوصايا باب ما جاء لا وصية لوارث ٤ / ٤٣٣ ح رقم ٢١٢٠، وقال: حديث حسن، واللفظ له، وابن ماجه كتاب التجارات باب ما للمرأة من مال زوجها ٢ / ٧٧٠ ح رقم ٢٢٩٥، إلا أنه قال: «ذلك من أفضل أموالنا»، وأحمد في المسند ٣٦ / ٦٢٨ ح رقم ٢٢٢٩٤

– وما رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة موقوفًا: «في المرأة تصدق من بيت زوجها قال: لا، إلا من قوتها، والأجر بينهما، ولا يحل لها أن تصدق من مال زوجها إلا بإذنه»،(١)

– وما رواه أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمرو قال «لما فتح رسول الله ﷺ مكة قام خطيبًا، فقال في خطبته: «لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها».(٢)

وهذه رواية تدل على الإباحة المطلقة:

– ما رواه الترمذي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها كان لها به أجر، وللزوج مثل ذلك، وللخازن مثل ذلك، ولا ينقص كل واحد منهم من أجر صاحبه شيئا، له بما كسب، ولها بما أنفقت».(٣)

وهذه روايات تقيد الترغيب في الإنفاق بكونه عن طيب نفس من الزوج، وبكونه غير مفسدة لحال البيت.

– عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أعطت المرأة من بيت زوجها بطيب نفس غير مفسدة، كان لها مثل أجره، لها ما نوت حسنا، وللخازن مثل ذلك».(٤)

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة باب المرأة تتصدق من بيت زوجها أبي داود ٢ / ١٣١ ح رقم ١٦٨٨، وقال أبو داود: هذا يضعف حديث همام، يقصد الحديث السابق على هذا، وهو من رواية همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعًا، والبيهقي في الكبرى كتاب الزكاة باب من حمل هذه الأخبار على أنها تعطيه من الطعام الذي أعطاها زوجها وجعله بحكمها دون سائر أمواله استدلالا بأصل تحريم مال الغير إلا بإذنه ٤ / ٣٢٤ ح رقم ٧٨٥٣، وقال: هذا قول أبي هريرة وهو أحد رواة تلك الأخبار.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الإجارة باب في عطية المرأة بغير إذن زوجه ٣ / ٢٩٣ح رقم ٣٥٤٧، والنسائي كتاب العمرى باب عطية المرأة بغير إذن زوجها ٥/ ٦٥ ح رقم ٢٥٤٠ وأحمد في المسند ٦ / ٢٧٥ ح رقم ٦٧٢٧، وإسناده حسن

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الزكاة باب في نفقة المرأة من بيت زوجها ٣ / ٤٩ ح رقم ٦٧١، وقال: هذا حديث حسن

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الزكاة باب في نفقة المرأة من بيت زوجها ٣ / ٤٩ ح رقم ٦٧٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح

-وعند البخاري عنها ﵂ بلفظ: قالت: قال النبي ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا».[(١)]

وهذه رواية تقيد الإنفاق بكونه من غير أمر الزوج.

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فله نصف أجره».[(٢)]

وهذه رواية تقيد حِل الإنفاق من البيت بكونه من رطبه.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لما بايع رسول الله ﷺ النساء، قامت امرأة جليلة كأنها من نساء مضر، فقالت: يا نبي الله، إنا كل على آبائنا، وأبنائنا - قال أبو داود: وأرى فيه: وأزواجنا - فما يحل لنا من أموالهم؟ فقال: «الرطب تأكلنه وتهدينه»، قال أبو داود: الرطب: الخبز، والبقل، والرطب. قال أبو داود: وكذا رواه الثوري، عن يونس.[(٣)]

وللتوفيق بين كل ما سبق، قال ابن العراقي: قال والدي رحمه الله تعالى: وكيفية الجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف عادات البلاد، وباختلاف حال الزوج في مسامحته بذلك وكراهته له، وباختلاف الحال

---

(١) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب قول الله تعالى ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ٣/ ٥٦ ح رقم ٢٠٦٥

(٢) أخرجه البخاري كتاب النفقات باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد ٧ / ٦٥ ح قم ٥٣٦٠

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة باب المرأة تتصدق من بيت زوجها ٢ / ١٣١ ح رقم ١٦٨٦، أي عن يونس بن عبيد، عن زياد بن جبير بن حية، عن سعد، ورواية زياد عن سعد مرسلة، قال العلائي: وذكر أبو زرعة وأبو حاتم أن حديثه-أي زياد- عن سعد بن أبي وقاص مرسل. جامع التحصيل في أحكام المراسيل صـ ١٧٧، ولم أقف على نص أبي زرعة وأبي حاتم. وكان الحافظ في التهذيب قد قال ذلك أيضًا. التهذيب ٢ / ٢١٤

في الشيء المنفق، بين أن يكون شيئًا يسيراً يتسامح به، وبين أن يكون له خطر في النفس يبخل بمثله، وبين أن يكون رطبًا يخشى فساده إن تأخر، وبين أن يكون يدخر ولا يخشى عليه الفساد.

قال: قال الخطابي في المعالم عقب حديث عائشة: هذا الكلام خارج على مذهب الناس بالحجاز وبغيرها من البلدان في أن رب البيت قد يأذن لأهله وعياله وللخادم في الإنفاق مما يكون في البيت من طعام وإدام ونحوه، ويطلق أمرهم في الصدقة منه إذا حضرهم السائل ونزل بهم الضيف فحضهم رسول الله ﷺ على لزوم هذه العادة واستدامة ذلك الصنيع ووعدهم الأجر والثواب عليه، وأفرد كل واحد منهم باسمه ليتسارعوا إليه ولا يتقاعدوا عنه. قال: وليس ذلك بأن تفتات المرأة والخازن على رب البيت بشيء لم يؤذن لهما فيه، ولم يطلق لهما الإنفاق منه، بل يخاف أن يكونا آثمين إذا فعلا ذلك، والله أعلم.(١)

قال: وقال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف الناس في تأويل هذا الحديث على قولين فمنهم من قال: إنه في اليسير الذي لا يؤثر نقصانه ولا يظهر، وقيل في الثاني: ذلك إذا أذن الزوج في ذلك وهو اختيار البخاري.

قال: ويحتمل أن يكون عندي محمولاً على العادة وأنها إذا علمت منه أنه لا يكره العطاء والصدقة وفعلت من ذلك القليل ولم تجحف، وعلى ذلك عادة الناس في غير بلادنا، وهذا معنى قوله: بطيب نفس، ومعنى: غير مفسدة، فطيب النفس يقتضي إذنه صريحًا أو عادة، وقوله «غير مفسدة» يقتضي اليسير الذي لا يجحف به انتهى.(٢)

---

(١) معالم السنن ٢ / ٧٩ بتصرف يسير مِن ولي الله، أو مِن والده، رحمهما الله تعالى.

(٢) عارضة الأحوذي ٢ / ٥١، ٥٢

قال: وقال المنذري في حواشيه: فرق بعضهم بين الزوجة والخادم، بأن الزوجة لها حق في مال الزوج، ولها النظر في بيتها، فجاز لها أن تتصدق بما لا يكون إسرافاً، لكن بمقدار العادة وما تعلم أنه لا يؤلم زوجها، فأما الخادم فليس له تصرف في متاع مولاه.(١)

قلت: وهذا جهد مشكور من المحدثين؛ لتوضيح حالات إنفاق الزوجات من بيوت أزواجهن، رفعاً للحرج، وحثاً لمن كانت عادة بلادها ذلك أن لا تتأخر عن النفقة. مساعدةً للفقير والمحتاج، ودرءاً للفقر، ومساعدة على صعوبات الحياة.

* بل إن المحدثين قد رووا ما يهيج المتصدق على النفقة ويعده بالخير المنتظر جراء النفقة، كما رووا ما يدعو للمنفق بالخلف والتعويض والبركة والنماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً».(٢)

* وبعد... فقد كان هذا جزءاً من الروايات التي رواها المحدثون عن النبي ﷺ للناس، ولم يكتموا العلم، ولم يبخلوا به، ولم يحملوا الروايات ما لا تحتمل؛ هروباً من الإنفاق، أو خوفاً من الأغنياء، وأصحاب الثروات ذو السطوة والبأس.

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب ٤/ ١٤٦، ولم أقف على نص المنذري

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ اللهم أعط منفق مال خلفا»» (٢/ ١١٥ ح رقم ١٤٤٢، ومسلم كتاب الزكاة ١٧- باب في المنفق والممسك ٢ / ٧٠٠ ح رقم ١٠١٠

المطلب الثاني: هل يجوز للحاكم أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء؛ ليكفلوهم ويواسوهم بأموالهم أيام المسغبة؟

* إن المحدثين قد بينوا ذلك الأمر، فقد كان لهم دور في توجيه الحكام وولاة الأمور، وإضفاء الصبغة الشرعية على هذا التصرف؛ كي يساعد الميسورون الفقراء والمحتاجين، ومن أصابتهم صعوبات الحياة أيام المسغبة، فيكفلوهم، ويراعوهم، ويهتموا بشأنهم، قدر الطاقة.

لقد روى المحدثون هذا الحديث المهم عن رسول الله ﷺ، الذي يتحدث عن أحوال الناس في الجائحات والقحط، والذي يؤسس للتكافل الاجتماعي بينهم، **ويوضحوا أن الحديث فيه إذن للسلطان أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء ليكفلوهم ويعينوهم ويواسوهم بأموالهم عند الضرورة والحاجة**، فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طعام الواحد يكفي الاثنين. وطعام الاثنين يكفي الأربعة. وطعام الأربعة يكفي الثمانية».[(١)]

قال ابن الأثير: يعني شبع الواحد قوت الاثنين، وشبع الاثنين قوت الأربعة، وشبع الأربعة قوت الثمانية، ومنه قول عمر عام الرمادة «لقد هممتُ أن أنْزِل على أهل كل بيت مثل عددهم، فإن الرجل لا يهلك على نصف بطنه». ا. هـ.[(٢)] وقال المناوي: واستنبط منه أن السلطان في المسغبة يفرق الفقراء على أهل السعة بقدر ما لا يحيق بهم».[(٣)]

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأشربة ٣٣ -باب: فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة، ونحو ذلك ٣ / ١٦٣٠ ح رقم ٢٠٥٩

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ١٢٥

(٣) فيض القدير ٤ / ٢٦٤

قال شمس الدين البرماوي معلقًا: وفيه: أن السلطان في المسغبة يفرق الفقراء على أهل السعة بقدر ما لا يجحف بهم، وقال كثير من أهل العلم: إن في المال حقوقًا سوى الزكاة».[١]

وقد قال النبي ﷺ من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...».[٢]

لقد حث المحدثون أهل اليسار، والسعة، من خلال شرحهم للسنة النبوية على الصدقة، بكل أحجامها، وأوزانها، وقيمتها، ولو كان المتصدق عليه لا يأبه له، ولا به، كظلف الشاة، مما يشير إلى أن ذلك لم يكن في عهد النبوة فقط، وليس في وقت الشدة فقط، بل في كل وقت وحين، إذ هو النجاة للمتصدق، إذ ربما يكون شق التمرة أو ظلف الشاة هو الذي يرجح الميزان يوم القيامة.

* لذا كان هذا صنيعه ﷺ، وصنيع الصحابة في زمنه، ومن بعده؛ لتكون القدوة عملية، فتقتدي بذلك الأمة ليوم القيامة، وما كان حثه ﷺ باستضافة بعض أهل الصُّفة، وحثه الصحابة على الاقتداء به إلا ترجمة عملية لهذا الصنيع، **ودليلاً آخر على جواز توزيع الحاكم الفقراءَ على الميسورين لكفالتهم.**

فقد أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي بكر، أن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس، بسادس». أو كما قال: وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي الله ﷺ بعشرة، وأبو

---

(١) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ٣ / ٤٣٠

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء... ١١-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.. ٤ / ٢٠٧٤ ح رقم ٢٦٩٩

بكر بثلاثة. قال فهو وأنا وأبي وأمي- ولا أدري هل قال: وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر.... الحديث».[١]

* وفي عهد عمر ﷺ وفي عام الرمادة، وبسبب القحط والجوع والمسغبة لم يُقم حد السرقة على من فعل ذلك؛ لأن شروط القطع لم تستكمل، وهذا بخلاف من يقول إن عمر ﷺ أبطل الحد عام الرمادة، وإنما الذي كان هو: أن شروط القطع لم تكتمل، وبالتالي فلم يقم الحد؛ لوجود شبهة في إقامة الحد، وهو المسغبة الشديدة الحاصلة، فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لئن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات».[٢]

* أما عثمان ﷺ فقد قام بشراء قافلة كبيرة في زمن أبي بكر ﷺ حيث قحط المطر، وقل الرزق، ثم تبرع بها للناس بدون الحصول على مقابل.

فقد أخرج أبو بكر الآجري قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني بمكة، المؤذن إمام المسجد الحرام قال: حدثني أبي إدريس بن محمد القزويني قال: حدثنا إسماعيل بن توبة، قال: حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: «قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق ﷺ، فاجتمع الناس إلى أبي بكر ﷺ، فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة.

فقال أبو بكر الصديق: انصرفوا واصبروا فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله ﷻ عنكم، فما لبثنا إلا قليلاً أن جاء أجراء عثمان بن عفان ﷺ من الشام، فجاءته مائة راحلة براً، أو قال: طعاماً.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب السمر مع الضيف والأهل ١ / ١٢٤ ح رقم ٦٠٢مسلم كتاب الأشربة ٣٤ - باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره ٣ / ١٦٢٧ ح رقم ٢٠٥٧

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الحدود باب في درء الحدود بالشبهات ٥ / ٥١١ ح رقم ت ٢٨٤٩٣، وإسناده منقطع.

فاجتمع الناس إلى باب عثمان رضي الله عنه، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان ﷺ في ملأ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط، السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديد، وقد بلغنا أن عندك طعاما فبعناه حتى توسع على فقراء المسلمين.

قال عثمان: حبًا وكرامة، ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار فإذا الطعام موضوع في دار عثمان رضي الله عنه، فقال: يا معاشر التجار، تربحوني على شرائي من الشام؟

قالوا: للعشرة اثنا عشر، فقال عثمان رضي الله عنه: قد زادوني، قالوا: للعشرة أربعة عشر، فقال عثمان: قد زادوني، قالوا: للعشرة خمسة عشر قال عثمان: قد زادوني قال التجار: يا أبا عمرو؛ ما بقي في المدينة تجار غيرنا، فمن ذا الذي زادك؟

فقال: زادني الله ﷻ بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ فقالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين».

فقال ابن عباس ﷺ: فرأيت من ليلتي رسول الله ﷺ يعني في المنام وهو على برذون أبلق، وعليه حلة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قضيب من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، لقد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك، فأين تبادر؟ قال: «يا ابن عباس، إن عثمان بن عفان تصدق بصدقة وإن الله ﷻ قد قبلها منه، وزوجه بها عروسا في الجنة، وقد دعينا إلى عرسه».(١)

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة كتاب ذكر فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان باب ذكر إكرام النبي ﷺ لعثمان ﷺ وفضله عنده ٤ / ٢٠١٢ ح رقم ١٤٨٦ والأثر إسناده ضعيف؛ فيه شيخ الآجري قال عنه الدارقطني ضعيف، ونقله عنه الحافظ في لسان الميزان ٢ / ١١٠ ت ١٨٢١ وشيخه لم أقف له على ترجمة. أما بقية رواته، فإسماعيل بن توبة، قال عنه الحافظ: صدوق. التقريب صـ ١٠٦ ت رقم ٤٣٠، وكثير بن هشام، قال عنه الحافظ: ثقة. التقريب صـ ٤٦٠ ت رقم ٥٦٣٣، وجعفر بن برقان، قال عنه الحافظ: صدوق. التقريب صـ ١٤٠ ت رقم ٩٣٢ وميمون بن مهران قال عنه الحافظ: ثقة. التقريب صـ ٥٥٦ ت رقم ٧٠٤٩

المبحث الثاني: الجانب العملي عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط.

المطلب الأول: الدور التطبيقي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط.

* إن الإنفاق في أيام الفقر والقحط والاحتياج ليس كالإنفاق في أيام الرغد، وقد عد القرآن الكريم الإنفاق في يوم المسغبة من علامات النجاة يوم القيامة. فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾ [البلد: ١٢-١٤]

وكان التوضيح بشأن ذلك أشد في سورة الحديد، حيث لم يسو القرآن بين من أنفق قبل فتح مكة، حيث كان مستقبل دولة الإسلام ضبابيًا، ولم يكن الغِنى منتشراً بين الصحابة، وكان أغلب من آمن بهذا الدين من الفقراء، وبين من أنفق بعد الفتح، وقد صار للمسلمين دولة، ومغانم كثيرة يأخذونها، فقال سبحانه: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠]

* إن قول الله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٧] **نص حاكم، قطعي الدلالة والثبوت**، يجب أن لا يضيع من مخيلة الناس في مشاغل الحياة وتنوعها وملذاتها، فالمسلم ينفق حسب سعته، ولا يحملها ما لا تطيق، فعندها يرتاح باله، ويستوي الميزان.

إن الله ﷻ قد خلق الناس متفاوتين في الرزق، والسعة، والفضل، والخير، والمال، والصحة، والعافية، بل والعمر، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الشورى: ١٢] ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النحل: ٧١]، وقال: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]

وهذه سنة من سنن الله تعالى الكونية التي لا تتغير، وإذا فهم الناس ذلك، ارتاح حالهم، وصلح بالهم، وذهبت الضغينة والحقد في نفوسهم، فالفقير الذي قدر الله تعالى عليه رزقه سينفق حسب مستواه، ولا مانع من سعيه لرفع مستوى معيشته، ومن وسع الله تعالى عليه فليعش حسب ما وسعه الله تعالى. ومن قدَر عليه زرقه، فلينفق مما آتاه الله، سيجعل الله تعالى بعد عسر يسراً، والدنيا لا تدوم لأحد، ودوام الحال من المحال.

وكنت قد قرأت في كتب السير، كما أن العمر قد امتد بي؛ لأرى أناسًا كانوا في قمة الثراء والمجد، ولم تمض سنون عليهم حتى تغير الحال، وانقلبت حيواتهم من النقيض للنقيض، بل لم يجدوا من يتولى أمرهم عند مرضهم، أو دفنهم عند موتهم، فاستحقوا الزكوات والصدقات، ولله في خلقه شؤون، فسبحان من يغير ولا يتغير.

وقد أخرج الطبري عن أبي سنان، قال: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أَبي عُبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها.

فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال رحمه الله: تأول هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ ».[1]

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري قال: «أخذ المؤمن عن الله أدبًا حسنًا، إذا وسع عليه وسع، وإذا قتر عليه قتر».

قال: وقال أبو عبد الله الحليمي رحمه الله تعالى: والاقتصاد في كل أمر أفضل وأجمل من البغي فيه، حتّى الحبّ والبغض».[1]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المشهور باسم تفسير الطبري ٢٣ / ٤٦٣ طبعة دار التربية والتراث

وأخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة نفر، كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار، وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشرة أواق، فقال رسول الله ﷺ: هم في الأجر سواء، كل تصدق بعشر ماله، قال الله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾.[٢]

* أما الذي يقتر على نفسه وعلى أولاده مع توفر المال لديه، بحجة مخافة القحط والغلاء فقد وضح الحافظ الذهبي الأمر، وبين أن المرء عليه أن ينفق ويتبع الهدي النبوي، فقال:

الطريقة المثلى -أي في الإنفاق- هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]

قال: وقد قال النبي ﷺ: «... لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».[٣] فلم يشرع لنا الرهبانية، ولا التمزق ولا الوصال، بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا ﷺ،[٤] وكذلك اللحم،

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب باب الاقتصاد في النفقة ٨ / ٤١٤ ح رقم ٦١٦٧ طبعة الرشد وهو موقوف على الحسن

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢ / ٤٤١ ح رقم ١٦٦٢ وإسناده ضعيف

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ٧ / ٢ ح رقم ٥٠٦٣، ومسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت ٢ م ١٠٢٠ ح رقم ١٤٠١ من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه

(٤) فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة». أخرجه النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء ٧ /٦١ ح رقم ٣٩٣٩ وأحمد في المسند ٢١ / ٤٣٣ ح رقم ١٤٠٣٧، وإسناده حسن من أجل سلّام أبي المنذر.

والحلواء، والعسل،[١] والشراب الحلو البارد،[٢] والمسك،[٣] وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

قال: ثم العابد العري من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب -والله- في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وليّ، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه.

قال: فالخلوة والجوع أبو جاد،[٤] الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى، السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة

---

(١) فعن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل» أخرجه البخاري كتاب الأطعمة باب الحلواء والعسل ٥ / ٢٠٧١ ح رقم ٥١١٥ ومسلم كتاب الطلاق ٣-باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ٢ / ١١٠١ ح رقم ١٤٧٤

(٢) فعن الزهري، أن رسول الله ﷺ سئل أي الشراب أطيب؟ قال: «الحلو البارد»: وهكذا روى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذا أصح من حديث ابن عيينة، وعبد الرزاق في المصنف كتاب الجامع ٤٨ - باب أي الشراب أطيب ١٠ / ٤٥ ح رقم ٢٠٦٤٠ طبعة التأصيل

(٣) فعن السيدة عائشة ﵂ قالت: «كأني أنظر إلى وبيص المسك في مفرق رسول الله ﷺ، وهو محرم» أخرجه مسلم كتاب الحج ٧- باب الطيب للمحرم عند الإحرام ٢ / ٨٤٩ ح رقم ١١٩٠

(٤) المعنى: أي أبجديات الترهب، أو بدايات الترهب، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢٠٩ هـ: «وأكن من الصالحين» بغير الواو، قال أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي ت ١٥٧ السير ٦/ ٤٠٧ ت رقم ١٦٧- وأكون من الصالحين، وذهبت الواو من الخط كما يكتب أبو جاد: أبجد هجاء، مجاز القرآن ٢ / ٢٥٩، قال علي بن =

العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين - أماتنا الله على محبتهم.(١)

* وإذا كان الأمر كذلك، ورغمه، فإنني لاحظت قلة الوارد من الأخبار عن المحدثين وحالات إنفاقهم لمواجهة القحط أو موقفهم من الغلاء، في كتب التراجم، والتاريخ، والسير؛ ربما لأن المحدثين أكثرهم إن لم يكن غالبهم من المستورين-ولم يشذ منهم غير نفر يسير، سيرد ذكر بعضهم بعد قليل-إذ أن أغلب المحدثين ما كانوا يدخلون على الأمراء والخلفاء، -أبرز أسباب اليسار- وما كان ديدنهم في الحياة محاولة الحصول على الثروات، بخلاف أغلب أصحاب العلوم والمهن الأخرى-وهذا ليس حرامًا عليهم في دين الله تعالى- بل كان عيش المحدثين الكفاف.

وهذا ليس بغريب عنهم، فقد كان سيدهم وسيد الدنيا ﷺ يظل الشهر والاثنين ولا توقد النار في بيته، فقد أخرج البخاري عن السيدة عائشة ﵂ أنها قالت لعروة: «ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: يا

عاصم: يا بني «احذر بشرا المريسي، فإن كلامه أبو جاد الزنادقة الإبانة الكبرى ٦ / ١٠٦، قال هشام بن عبد الله الرازي: أبو جاد الجهمية من زعم أن القرآن مخلوق، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٢٩٩ و عن مسعر قال: إن التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ٧/ ٢١٨.

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٨٩، ٩٠، بتصرف يسير

خالة، ما كان يعيشكم؟ قالت الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا».[١]

* ونظراً لانشغال المحدثين بالتحديث، ونشر العلم بين الطلاب، ونظراً لضيق ذات اليد، فقد أنشأوا مسألة في مصطلح الحديث تتعلق بجواز بأخذ الأجرة عن التحديث نظير حبسهم لغالبية وقتهم للتحديث، وإن كان غالبة المحدثين شددوا في عدم أخذ الأجرة ولم يقولوا به؛ احتساباً لله تعالى، إلا أنها تظل مسألة طرحت؛ بسبب ضيق ذات اليد، وضعف العيش الكفاف، أو ما دونه التي كانت بين عدد لا يستهان به من المحدثين.

ففي ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد ابن النقور البزاز قال ابن الجوزي في المنتظم: وكان مكثراً صدوقًا ثقة، متحرياً فيما يرويه، قال شيخنا أبو الفضل محمد بن ناصر: كان أصحاب الحديث يشغلونه عن الكسب لعياله، فأفتاه أبو إسحاق الشيرازي بجواز أخذ الأجرة على التحديث، وكان يأخذ زكاة، ويسكن طرف درب الزعفران مما يلي الكرخ.[٢]

قال ابن الصلاح في المسألة الثانية عشرة من النوع الثالث والعشرين من علوم الحديث: «من أخذ على التحديث أجراً منع ذلك من قبول روايته عند قوم من أئمة الحديث، روينا عن إسحاق بن إبراهيم أنه سئل عن المحدث يحدث بالأجر، فقال: "لا يكتب عنه"، وعن أحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي نحو ذلك.

قال: وترخص أبو نعيم الفضل بن دكين، وعلي بن عبد العزيز المكي وآخرون في أخذ العوض على التحديث، وذلك شبيه بأخذ الأجرة على تعليم القرآن ونحوه، غير أن في هذا من حيث العرف

---

(١) أخرجه البخاري في صدر كتاب الهبة، وفضلها، والتحريض عليها ٣ / ١٥٣ ح رقم ٢٥٦٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٦ / ١٩٣

خرمًا للمروءة، والظن يساء بفاعله إلا أن يقترن ذلك بعذر ينفي ذلك عنه، كمثل ما حدثنيه الشيخ أبو المظفر، عن أبيه الحافظ أبي سعد السمعاني أن أبا الفضل محمد بن ناصر السلامي ذكر أن أبا الحسين بن النقور (ت ٤٧٠ هـ) فعل ذلك، لأن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦ هـ) أفتاه بجواز أخذ الأجرة على التحديث؛ لأن أصحاب الحديث كانوا يمنعونه عن الكسب لعياله، والله أعلم».[١]

ولما كلموا عكرمة البربري رحمه الله تعالى عن تردده على الأمراء، وقبول جوائزهم، قال: أسعى على عيالي، ففي هدي الساري قال أحمد: كان يأتي الأمراء يطلب جوائزهم، ولم يترك موضعًا إلا خرج إليه، وقال عبد العزيز بن أبي رواد: رأيت عكرمة بنيسابور، فقلت: له تركت الحرمين وجئت إلى خراسان؟! قال: جئت أسعى على عيالي، وقال: أبو نعيم قدم على الوالي بأصبهان فأجازه بثلاثة آلاف درهم.[٢]

وكان أبو بكر النيسابوري محمد بن داود بن سليمان الحافظ الزاهد الحجة شيخ الصوفية أبو بكر النيسابوري ت ٣٤٢هـ، قال الذهبي: كان يعد من الأولياء، قال الدارقطني: ثقة فاضل. وعنه قال: أكلت في أيام القحط رغيفًا واحدًا في أربعين يومًا بالبصرة، كنت إذا جعت قرأت ﴿يسّ﴾ [يس: ١] بنية الشبع – يقصد قراءة سورة يس، رحمه الله تعالى.[٣]

---

(١) معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بين العالمين باسم مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر صـ ١١٨/ ١١٩، بتصرف يسير

(٢) هدي الساري صـ ٤٢٧

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٨ ت رقم ٨٦٨

وعند ابن عساكر قال أبو بكر بن أبي داود النيسابوري: كنت بالبصرة أيام القحط، فلم آكل في أربعين يوماً إلا رغيفاً واحداً، فكنت إذا جعت قرأت سورة ﴿يسّ﴾ على نية الشبع فكفاني الله الجوع.(١)

* وإذا كان الأمر كذلك فقد حث المحدثون أصحابهم أن يتخذوا مهنة تعينهم على الحياة، وتغنيهم عن السؤال وعن طلب الأجرة بسبب التحديث أو عن التردد الخلفاء والملوك والأمراء، وقد كانوا لا يقبلون عطايا الناس، فقال ابن أبي شيبة: نا وكيع، عن الأعمش، عن حبيب، أن رجلاً بعث إلى زرٍ بجائزة، فقال للرسول «أكل مسلم بعث بهذا؟ » فقال لا، فقال: «رده» وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥-١٦] .(٢)

لذا كان الواحد منهم يتخذ مهنة ما، تعينه على مشقة الحياة، وتغنيه عن الناس، ومن ثَم يتصدقون بما رزقهم الله تعالى من واسع فضله، وكيف لا وهو يروون حديث المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله صلى الله عليه قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».(٣) وكان معاوية قد سأل عمرو بن العاص عن المروءة، قال: «العفة والحرفة»؛(٤) لذا كان كبار العلماء من ذوي المهن.

فكان سعيد بن المسيب زياتاً، وكذا كان أبو صالح السمان ذكوان، فقد كان يتجر بالسمن والزيت، وكان أبو بكر الآجري صاحب كتاب الشريعة، يعمل بالآجُر، وكان محمد بن معمر بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٢ / ٤٣٢

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب البيوع والأقضية باب من رخص في جوائز الأمراء والعُمالة ٤ / ٢٩٧ ح رقم ٢٠٣٤٤

(٣) أخرجه البخاري كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده ٣ / ٥٧ ح رقم ٢٠٧٢

(٤) إصلاح المال لابن أبي الدنيا صـ ٧٨

ربعي البحراني البصري من رجال الستة، يعمل قبطانـاً، حيث نسب إلى ركوب البحر، وقيادة السفن، وكان أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار الهروي بقالاً يبيع الفاكهة الجافة. وغير ذلك من المهن.

قال العجلي عن سعيد بن المسيب: تابعي، ثقة، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً، وكان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار، وكان يتجر بها في الزيت.(١) وقال ابن عبد الهادي: كان سعيد يسرد الصوم، وحج أربعين حجة، وكان لا يقبل جوائز السلطان، وله أربع مئة دينار يتجر فيها في الزيت وغيره.(٢)

وقال البخاري في الأوسط: اسم أبي صالح السمان ذكوان الزيات المدني الذي كان يجلب الزيت أو السمن إلى الكوفة.(٣)

وكان أبو بكر الآجري صاحب كتاب الشريعة، يعمل بالآجر، قال السمعاني: الآجُرّي، بفتح الألف وضم الجيم وتشديد الراء المهملة، هذه النسبة إلى عمل الآجر وبيعه، وقد اشتهر به جماعة منهم: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ساكن مكة، له مصنفات كثيرة وروايات عن أبي شعيب الحراني وأحمد بن يحيى الحلواني وغيرهما،(٤) والآجر: الطين المطبوخ وهو معرب.(٥)

---

(١) الثقات للعجلي ت قلعجي صـ ١٨٨ ت رقم ٥٦٣

(٢) طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ١ / ١١٣

(٣) التاريخ الأوسط ١ / ٢٣٩ ت رقم ١١٥٦

(٤) الأنساب ١ / ٦٨، ٦٩ بتصرف يسير

(٥) المغرب في ترتيب المعرب صـ ٢١

وكان محمد بن معمر بن ربعي البحراني البصري من رجال الكتب الستة، يعمل قبطانـاً، حيث نسب إلى ركوب البحر وقيادة السفن، قال السمعاني: البَحْراني: بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الحاء المهملة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى البحر، أو إلى الجزائر والسكون فيها، واستدامة ركوب البحار، أو كان ملاح السفن، والمشهور بها أبو عبد الله محمد بن معمر القيسي البحراني، بصري ثقة، حدث عنه البخاري،(١) وقال الحافظ في التقريب وقد أشار إلى أنه من رجال الكتب الستة: صدوق من كبار الحادية عشرة مات سنة خمسين أي ومائتين.(٢)

وكان أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار الهروي بقالاً؛ قال السمعاني: الفامي بفتح الفاء وفي آخرها الميم، هذه النسبة إلى الحرفة، وهو لمن يبيع الأشياء من الفواكه اليابسة، ويقال له «البقال» أيضـاً، واشتهر بهذه النسبة جماعة.(٣) قال الذهبي: الفامي وهو الشيخ، الإمام، المحدث، الحافظ، أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان بن منصور الهروي.(٤)

لـذا كانـت المهـن تُلحـق بأسـماء أصـحابها، مثـل: القفـال،(٥) والقطـان،(١) والحـذاء،(٢) والصواف،(٣) وغير ذلك.

---

(١) الأنساب للسمعاني ٢ / ٩٩

(٢) تقريب التهذيب صـ ٥٠٨ ت رقم ٦٣١٣

(٣) الأنساب ١٠ / ١٤٢

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٩٧

(٥) القَفَّال، قال السمعاني: بفتح القاف وتشديد الفاء، هذه النسبة إلى عمل الأقفال، واشتهر به أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال، وكان يقال له القفال الكبير، الشاشي من أهل شاش، إمام عصره بلا مدافعة، وكان إماما، أصوليا، لغويا، محدثا، شاعرا، أفنى عمره في طلب العلم ونشره، وشاع ذكره في الشرق والغرب، وصنف التصانيف الحسان، منها «دلائل النبوة ومحاسن الشريعة». الأنساب ١٠/ ٤٧٠

* ونظراً لحالة الترفع عن غالبية المحدثين عن أخذ عطايا الناس، كان الواحد من ذوي اليسار منهم يتزوج امرأة؛ ليغني ابنها المشتغل بالحديث من خلالها؛ وذلك لينفق على نفسه وعلى رحلات الحديث. قال أبو أحمد بن عدي: يقال: أن هشيماً تزوج بأم شعبة، وكان موسراً، وقال: تزوجت بأم شعبة؛ لأغنيه.(٤) وفي الكامل لابن عدي قال إبراهيم بن عبد الله: سمعت هشيماً يقول: تزوجت بأم شعبة على أربعة آلاف درهم، فكان لها أربعة بنين، فأعطيت كل واحد منهم ألفاً، وقال: إنما تزوجت لأغنيكم.(٥)

* لذا فإنهم قالوا: من أراد هذا الفن فليتخذ نعلاً من حديد، فعن ابن عمر قال: قلت لطالب العلم يتخذ نعلين من حديد.(٦) وقال مالك بن دينار: أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن

---

(١) القَطَّان، قال السمعاني: بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بيع القطن، والمشهور بها هو أبو سعيد يحيى بن سعيد ابن فروخ الأحول القطان، مولى بنى تميم، من أئمة أهل البصرة الأنساب ١٠/ ٤٤٩

(٢) الحَداء، قال السمعاني: بفتح الحاء المهملة والذال المعجمة المشددة، هذه النسبة إلى حذو النعل وعملها، وهم جماعة، منهم: كثير بن عبيد الحمصي الحذاء، جابر الحذاء، يروى عن ابن عمر رضى الله عنهما بصري. الأنساب ٤ / ٩٥

(٣) الصَّوّاف قال السمعاني: بفتح الصاد المهملة وتشديد الواو وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى بيع الصوف والأشياء المتخذة من الصوف، والمشهور بهذه النسبة أبو على محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم ابن عبد الله ابن الصواف، من أهل بغداد، كان ثقة صدوقا، وكان أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ يقول: أبو على الصواف كان ثقة مأمونا ما رأيته مثله في التحرز. الأنساب ٨ / ٣٣٧

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٤٩٥ ت رقم ٢٧٣٩

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال ١ / ١٨٢

(٦) معرفة علوم الحديث للحاكم صـ ٩

اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد، ثم اطلب العلم والعبر حتى يخترق نعلاك، أو يخلق نعلاك وتنكسر عصاك.[١]

المطلب الثاني: حال بعض المحدثين أيام المسغبة والغلاء:

لم يكن المحدثون بدعاً من الناس، فقد كان يعتريهم ما يعتري غيرهم، لذا فقد تفننوا في كيفية التخلص من المسغبة والغلاء والفقر كل حسب حاله، وذلك من خلال الصور التالية:

- استفادة بعضهم من مهارة الزوجة في الصناعات المنزلية:

فقد كانت زوجة الإمام أحمد بن حنبل تعينه على الحياة، أيام الغلاء، حيث كانت تعمل بالنسيج، فتبيع منتجاتها للناس؛ مساعدة لزوجها وبيتها على منغصات الحياة، وكدر العيش، قال صالح بن الإمام أحمد: قال لي أبي: كانت أمك في الغلاء تغزل غزلاً دقيقاً، فتبيع الأستار بدرهمين أو نحوه، فكان ذلك قوتنا. قال صالح: كنا ربما اشترينا الشيء، فنستره منه، لئلا يوبخنا عليه.

وعندما كلمه بعض المحدثين في التوسعة على عياله ولم يكن هو يستطيع، وكان ذلك فوق طاقته، مما أشعروه بالحرج واتهامه بالتقصير والتضييق على أولاده، وكأنه يريد ذلك، فنظر إليهم ولم يكلمهم-إذ الحال يغني عن المقال- طلب من ذويه أن لا يمكنوهم من الدخول عليه مرة أخرى، فقد أخرج أبو بكر الخلال قال: أخبرنا المروذي، قال: رأيت أحمد بن عيسى المصري، ومعه قوم من المحدثين، دخلوا على أبي عبد الله بالعسكر، فقال له أحمد بن عيسى: يا أبا عبد الله،

---

(١) جامع بيان العلم ١ / ٣٩٩

ما هذا الغم؟ الإسلام حنيفية سمحة، وبيت واسع. فنظر إليهم، وكان مضطجعًا، فلما خرجوا، قال لي: أنظر إلى هؤلاء، ما أريد أن يدخل عليّ منهم أحد.(١)

وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو جعفر القطان – ويعرف بابن أبي القدور – قال: كان أيام الغلاء يجيئني أبو عبد الله بغزل ويستره أبيعه له، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف، وربما بعته بدرهمين، فتخلف يومًا فلما جاء قلت: يا أبا عبد الله، لم تجئ الأمس، فقال: أم صالح اعتلّت. ودفع إليّ غزلاً بأربعة دراهم، فجئت بها، فأنكر ذلك، وقال: لعلك زدت فيه من عندك؟ قلت: لا، ما زدت فيه من عندي؛ كان غزلاً دقيقًا.(٢)

- استخدام بعضهم فلسفة الاستغناء عن السلعة:

فإنه لما كان الغلاء يشتد على الناس، كان الاستغناء عن شراء ما رُفع سعره فلسفتهم، فيكثر هذا الذي قد ارتفع سعره، ويقل الطلب عليه، فيضطر التاجر، ثم البائع إلى تخفيض السعر، وذلك حسب قانون العرض والطلب، وكانت هذه فلسفة قديمة.

فقد جاء في الأثر أن الناس في زمن إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢هـ) قد جاءوه وقالوا: نشتكي غلاء اللحم، فقال: أرخصوه أنتم؟ فكأن لسان حالهم: نحن نشتكي ارتفاع السعر، ونحن أصحاب الحاجة، فتقول لنا: أرخصوه أنتم؟ وهل نملكه حتى نملك إنزال سعره؟ فكيف نرخصه يا إمام ونحن لا نملكه؟ فقال: «لا تشتروه»، ففي تاريخ دمشق أنه قيل لإبراهيم بن أدهم: «إن اللحم قد غلا، فقال: أرخصوه، أي: لا تشتروه».(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٢٤ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي صـ٣٣١

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي صـ٣٣٠

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ / ٢٨٢

- استبدال بعضهم الطعام الرخيص بالغالي.

فقد كان هذا حال بعضهم؛ وذلك لمكافحة الغلاء الذي يصيب البلاد، ويترك أثره على العباد، فعن رزين بن الأعرج مولى لآل العباس، قال: «غلا علينا الزبيب بمكة، فكتبنا إلى علي بن أبي طالب بالكوفة **أن الزبيب غلا علينا**، فكتب أن أرخصوه بالتمر»،[١] أي استبدلوه بشراء التمر الذي كان متوافراً في الحجاز وأسعاره رخيصة، فيقلّ الطلب على الزبيب فيرخص، وإن لم يرخص فالتمر خير بديل.

- التصبر والانشغال بالأذكار وقراءة القرآن الكريم:

فقد كان هذا حال بعضهم في مواجهة الجوع والغلاء، حيث كانوا يستعينون بالقرآن الكريم في رد جوعهم، قال الذهبي: محمد بن داود بن سليمان الحافظ الزاهد الحجة شيخ الصوفية أبو بكر النيسابوري، كان يعد من الأولياء، قال الدارقطني: ثقة فاضل. وعنه قال: أكلت في أيام القحط رغيفًا واحداً في أربعين يومًا بالبصرة، كنت إذا جُعتُ قرأتُ ﴿يسّ﴾ بنية الشبع. توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.[٢]

وعند ابن عساكر قال أبو بكر بن أبي داود: **كنت بالبصرة أيام القحط**، فلم آكل في أربعين يومًا إلا رغيفًا واحداً فكنت إذا جعت قرأت سورة يس على نية الشبع، فكفاني الله الجوع.[٣]

- كان الأثرياء منهم يحتالون؛ لإيصال الطعام للمتعففين.

---

(١) تاريخ ابن معين رواية الدوري ٣ / ١١٣ ت رقم ٤٧١والتاريخ الكبير للبخاري ٤ / ٢٣٠ ت رقم ٣٩٦٨ ت الدباسي والنحال

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٨ ت رقم ٨٦٨

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٢ / ٤٣٢

إن الفقراء من المحدثين كانوا يأكلون ما تيسر، ولا يسألون الناس شيئًا، حتى إن المتابع لحالهم والذي يعرف أمرهم من أهل اليسار، كان يحتال لتوصيل الطعام لهم، فهذا الحسن بن أبي الفضل أبو علي المؤدّب المقرئ، نزيل بغداد، قال الخطيب: كان من العالمين بالقراءات ووجوهها، وكان صدوقًا.(١) قال الذهبي: كان زاهدًا ورِعًا قانعًا باليسير، كان يخرج إلى دجلة، فيأخذ ورق الخسَّ المرميّ فيأكله، **وكان ذلك أيام القَحْط.**

قال: وكان يأوي إلى مسجد بدرب الزعفران، فرآه ابن العلاف يأكل الورق، فأخبر الوزير رئيس الرّؤساء بذلك، فقال: نبعث له شيئًا. قال: لا يقبله. فقال: نتحيّل فيه.

وأمر غلامًا أن يعمل لذلك المسجد مفتاحًا وقال: احمل له كل يوم رغيفين ودجاجة مُطَجَّنة، وقطعة حلاوة. فكان إذا جاء وفتح المسجد رأى ذلك في المحراب، فيتعجب ويقول: المفتاح معي، وما هذا إلا من الجنة. وكتم أمره، فأخصب جسمه وسمن، فقال له ابن العلاف: ما لك قد سمنْت وأضاءت حالتك؟ فتمثّل:

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبعدوه فلم يظفر بقربهم .... وأبدلوه فكان الأنس إيحاشا

ثم أخذ يورّي ولا يصرح، فما زال به حتى أخبره بالكرامة، فقال: ينبغي أن تدعو للوزير. ففهم القضية، وانكسر قلبه، ولم تطل مدته بعد ذلك.(٢) **قلت:** ما كان ينبغي له ذلك؛ فيكسر قلبه، ويجرح خاطره، فالمنّ والأذى يبطل الصدقة.

- **وكان الأثرياء منهم يلبون طلبات أقرانهم، وغيرهم، عند الاحتياج.**

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٢

(٢) تاريخ الإسلام ٣٠ / ٣٠٤، والبداية والنهاية ١٥ / ٧٧٥ تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي.

فقد كان الإمام مالك قد أصابه دين، وما قدر على سداده، وكان يود تزويج ابنته، ولا يملك المؤنة لذلك، فتواصل مع الليث بن سعد أبي الحارث المصري، فلبى الليث طلب الإمام مالك على الفور، قال حرملة: كان الليث بن سعد يصل مالكًا بمائة دينار في السنة، فكتب مالك إليه: عليّ دين. فبعث إليه بخمس مائة دينار.

وقال ابن وهب: كتب مالك إلى الليث: إني أريد أن أدخل بنتي على زوجها، فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفر. فبعث إليه بثلاثين حملاً عصفراً، فباع منه بخمس مائة دينار، وبقي عنده فضلة.(١)

وفي السير: جاءت امرأة إلى الليث، فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنًا لي عليل، واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مرطًا من عسل. قال الذهبي: والمرط: عشرون ومائة رطل.

وقال أبو صالح: سألت امرأة الليث منّا من عسل، فأمر لها بزق، وقال: سألت على قدرها، وأعطيناها على قدر السعة علينا.(٢)

- الاستعانة على القحط بالدعاء والاستسقاء:

فهذا أحمد بن حرب بن فيروز الإمام أبو عبد الله النيسابوري الزاهد، أحد الفقهاء العابدين. رحل وسمع من: سفيان بن عيينة، وأبي داود الطيالسي، وأبي أسامة، وطبقتهم. روى عنه: سهل بن عمار، ومحمد بن شادان، والعباس بن حمزة، وخلق سواهم، قال محمد بن عبد الله بن موسى السعدي: كنا في مجلس أحمد بن حرب لما قدم بخارى، فاجتمع عليه العامة من أهل المدينة والقرى، فقالوا كلهم: يا أبا عبد الله، أدع لنا، فإن زرعنا وأرضنا لم ينبت منذ عامين، أو قال: عام. فرفع يديه ودعا،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ١٤٨

(٢) المصدر السابق ٨ / ١٤٩

فما فرغ حتى طلعت سحابة، وكانت الشمس طالعة، فمطرنا مطراً لم نر مثله، فجئنا مشمرين أثوابنا من شدة المطر، حتى نبت الزرع».[١]

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: قحط الناس على عهد معاوية رحمه الله تعالى فخرج يستسقي بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم الخولاني: ترى ما داخل الناس، فادع الله، قال: فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه، فقال: اللهم إنا بك نستمطر، وقد جئت بذنوبي إليك فلا تخيبني، قال: فما انصرفوا حتى سقوا. قال: فقال أبو مسلم: "اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعة، فإن كان عندك لي خير فاقبضني إليك". قال: وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم رحمه الله يوم الخميس المقبل.[٢]

المطلب الثالث: نماذج من المحدثين الأثرياء وجهدهم في مواجهة القحط والمسغبة.

لا شك أن الله تعالى قد فضل بعض الناس على بعض في الرزق، فكان هناك بعض المحدثين قد رزقهم الله تعالى ومنّ عليهم بسعة من المال، وقد أقاموا ما تعلموه وعلموه للناس، فكانوا ينفقون أموالهم على الفقراء وخصوصاً المحدثين منهم للحالة التي أشرت إليها سابقاً، وهي أن أغلب المحدثين كانوا من المستورين في معيشتهم، وهذه نماذج من الموسرين منهم:

١ - أبو الحارث الليث بن سعد الفهمي المصري ت ١٧٥ هـ:

هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي، قال الذهبي: كان الليث رحمه الله فقيه مصر، ومحدثها،

---

(١) تاريخ الإسلام تحقيق: تدمري (١٧/ ٣٦) .

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل صـ ٣١٨ رقم ٢٣١٩

ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.

وكان الله تعالى قد رزقه ثروة طائلة، ففي السير، قال الحسن بن يوسف بن مليح: سمعت أبا الحسن الخادم، قال: كنت غلاماً لزبيدة، وأُتي بالليث بن سعد تستفتيه، فكنت واقفاً على رأس ستي زبيدة، خلف الستارة، فسأله الرشيد، فقال له: حلفتَ إن لي جنتين. فاستحلفه الليث ثلاثاً: إنك تخاف الله؟ فحلف له، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: فأقطعه قطائع كثيرة بمصر. قال الذهبي معلقاً: قلت: إن صح هذا، فهذا كان قبل خلافة هارون.

أما الليث فقد كان يصل الناس بماله ولا يبخل عن أحد كائنًا من كان، وقد سبق قبل قليل موقفه من الإمام مالك عند احتياجه للمال لسداد دين عليه، ولتجهيزه ابنته، وموقفه من المرأة التي لجأت إليه لاحتياج ولدها للعسل للاستشفاء، وكذا المرأة التي طلبت القليل من العسل فمنحها أكثر من طلبها.[1]

قال أبو داود: قال قتيبة: كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة، وقال: ما وجبت عليّ زكاة قط، ولما احترقت كتب ابن لهيعة، بعث إليه الليث من الغد بألف دينار. وأعطى مالكاً ألف دينار، وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار، وجارية تسوى ثلاث مائة دينار.

---

(١) صـ ٢٦، ٢٧.

قال عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد: سمعت أبي يقول: ما وجبت عليّ زكاة منذ بلغت، وقال عبد الله بن صالح: صحبت الليث عشرين سنة، لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس، وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض.

وقال أشهب بن عبد العزيز: كان الليث له **كل يوم أربعة مجالس** يجلس فيها: **أما أولها**، فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمراً، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزل، **ويجلس لأصحاب الحديث**، وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت، فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم. **ويجلس للمسائل**، يغشاه الناس، فيسألونه، **ويجلس لحوائج الناس**، لا يسأله أحد فيرده، كبرت حاجته أو صغرت.

قال: وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل، وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر.

وقال قتيبة: قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية، وكان معه ثلاث سفائن: سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عائلته، وسفينة فيها أضيافه. وكان إذا حضرت الصلاة يخرج إلى الشط، فيصلي.[1] رحم الله تعالى الليث بن سعد وأمطر على قبره سحائب المغفرة والرضوان.

٢- أبو محمد عبد الله بن وهب الفهري المصري ت ١٩٧ هـ:

هو الإمام، شيخ الإسلام، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري مولاهم، المصري، الحافظ، قال أبو الطاهر بن عمرو: جاءنا نعي ابن وهب، ونحن في مجلس سفيان ابن عيينة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أصيب به المسلمون عامة، وأصبت به خاصة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) وما بعدها بتصرف يسير

قلت – القائل الذهبي –: قد كان ابن وهب له دنيا وثروة، فكان يصل سفيان، ويبره، فلهذا يقول: أصبت به خاصة، وذلك رغم محبة ابن وهب للدراهم كما قال هو عن نفسه.

فقد قال حرملة، سمعت ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنساناً، أن أتصدق بدرهم، فمن حُب الدراهم تركت الغيبة.

قال الذهبي معلقاً: قلت: هكذا والله كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع، وعبد الله حجة مطلقاً، وحديثه كثير في الصحاح، وفي دواوين الإسلام، وحسبك بالنسائي وتعنته في النقد، حيث يقول: وابن وهب ثقة، ما أعلمه روى عن الثقات حديثا منكراً، قال: وقد تمعقل بعض الأئمة على ابن وهب في أخذه للحديث، وأنه كان يترخص في الأخذ، وسواء ترخص ورأى ذلك سائغاً، أو تشدد، فمن يروي مائة ألف حديث، ويندر المنكر في سعة ما روى، فإليه المنتهى في الإتقان. أ.هـ[١]

٣- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي ت ١٨١ هـ:

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية.[٢]

قال أبو وهب محمد بن مزاحم: ورث عبد الله عن أبيه ست مئة ألف درهم صامت، فأنفق في طلب العلم والخير في المواضع أربع مئة ألف وستين أو خمسين ألفاً، ومات عن تسعين ألفاً أي نقداً.[١]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٢٣ وما بعدها

(٢) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٧٨

وقال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، عن أبيه: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، ولا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا.

قال: ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة، وقضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو.

قال: فإذا صاروا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا، دعا بالصندوق ففتحه، ودفع إلى كل رجل منهم صرته، بعد أن كتب عليها اسمه.[٢]

وقال حبان بن موسى: عوتب ابن المبارك فيما يفرق المال في البلدان، ولا يفعل في أهل بلده، فقال: إني أعرف مكان **قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث، وحاجة الناس إليهم شديدة، وقد احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أغنيناهم نشروا العلم لأمة محمد**

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٦/ ٢٢

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٦/ ٢

ﷺ ولا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم.[١] رحم الله تعالى عبد الله بن المبارك وأمطر على قبره سحائب المغفرة والرضوان.

٤- أبو محمد الحسين بن حفص الأصبهاني ت ٢١٢ هـ:

هو الحسين بن حفص ابن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني الإمام الثقة الجليل الفقيه الأوحد أبو محمد الأصبهاني أصله كوفي، نقل علماً كثيراً، وتفقه، وأفتى بمذهب الكوفيين، وكان إليه رياسة أصبهان، وقضاؤها وأمر الفتاوى.[٢] قال أبو حاتم: صالح محله الصدق، وهو أحب إلي من عصام بن يزيد جبر.[٣] قال أبو نعيم: ولي القضاء والفتيا والعدالة والتناية،[٤] والرئاسة بأصبهان، كان وجه الناس وزينهم على نظرائه وأشكاله، كان دخله كل سنة: مائة ألف درهم، فما وجبت عليه زكاة قط، كانت جوائزه وصلاته دارة على المحدثين، وأهل العلم والفضل، مثل أبي مسعود، وعمرو بن علي، وكان من المختصين بسفيان الثوري، وقيل: إنه حمل سفيان الثوري إلى مكة، وحج على مركوبه.[٥] قال الذهبي: مات سنة اثنتي عشرة ومائتين وهو في عشر الثمانين.[٦] رحمه الله تعالى، وأمطر على قبره سحائب المغفرة والرضوان

٥- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ:

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٦/ ١٩

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٥٦

(٣) الجرح والتعديل ٣ / ٥٠

(٤) قال ابن الأثير: التناية: هي الفلاحة والزراعة. النهاية في غريب الحديث والأثر١ / ١٩٩

(٥) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان (١/ ٣٢٧) ت رقم ٥٨٨

(٦) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٥٧

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث.(١) وقد كان الإمام البخاري ذا سعة من المال، أنعم الله تعالى عليه بثروة كبيرة، غير أنه كان ينفقها في الصدقات على الفقراء والمساكين، فقد توفي والده وتركه طفلاً مع والدته بعد أن ترك له مالاً كثيراً وعلماً نافعاً.

قال محمد بن أبي حاتم: كانت له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبع مائة درهم، فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قثاة أو قثاتين، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحياناً.

قال: وسمعته يقول: كنت أستغل كل شهر خمس مائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم، فقلت: كم بين من ينفق على هذا الوجه، وبين من كان خلوا من المال، فجمع وكسب بالعلم، حتى اجتمع له، فقال أبو عبد الله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [الشورى: ٣٦] .(٢)

قال: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار، فلا يأكل فيه رقاقة، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً.

قال: وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره، فقال لي يوماً شبه المتفرِّج بصاحبه: يا أبا جعفر، نحتاج في السنة إلى شيء كثير. قلت له: قدر كم؟ قال: أحتاج في السنة إلى أربعة آلاف درهم، أو خمسة آلاف درهم. قال: وكان يتصدق بالكثير، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه.

---

(١) تقريب التهذيب صـ ٤٦٨ ت رقم ٥٧٢٧

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤٩.

قال: ورأيته ناول رجلاً مراراً صرة فيها ثلاث مائة درهم- وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد- فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفق، واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحد.(١)

قلت: أما هو فكان زاهداً بالرغم من ثروته، قال الإمام الزاهد أبا الحسن يوسف بن أبي ذر البخاري: مرض محمد بن إسماعيل البخاري فعرض ماؤه على الأطباء فقالوا لو أن هذا الماء ماء بعض أساقفه النصارى فإنهم لا يأتدمون فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال لم ائتدم منذ أربعين سنة فسألوا عن علاجه فقالوا علاجه الإدام فامتنع عن ذلك حتى ألح عليه المشايخ ببخارى أهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة واحدة مع رغيف.(٢) قال ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي البخاري ليلة السبت، ليلة الفطر، عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.(٣)

٦- أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي ت ٢٣٣ هـ:

هو: يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام الغطفاني، ثم المري مولاهم، البغدادي، الإمام، الحافظ، الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا، أحد الأعلام.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٥٠.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٢ / ٨٠

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٢٢٧

(٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٧١

قال ابن عدي: وأخبرني شيخ كاتب ببغداد في حلقة أبي عمران بن الأشيب ذكر أنه ابن عم ليحيى بن معين، قال: كان معين على خراج الري، فمات، فخلف لابنه يحيى ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفقه كله على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه.[١]

٧- أبو محمد دَعْلَج[٢] بن أحمد السجستاني ت ٣٥١ هـ:

هو المحدّث، الحجّة، الفقيه، الإمام، أبو محمد دعلج بن أحمد بن دعلج السجستاني ثم البغدادي، التاجر، ذو الأموال العظيمة، قال الحاكم: دعلج الفقيه شيخ أهل الحديث في عصره، له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان.[٣]

قال الخطيب: وكان من ذوي اليسار والأحوال، وأحد المشهورين بالبر والإفضال، وله صدقات جارية ووقوف محبسة على أهل الحديث ببغداد، ومكة، وسجستان.

قال: حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد، وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح، عن شيخ سماه، فذهب عني حفظ اسمه.

قال: حضرت يوم جمعة مسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلا بين يدي في الصف حسن الوقار، ظاهر الخشوع، دائم الصلاة، لم يزل يتنفل مذ دخل المسجد إلى قرب قيام الصلاة ثم جلس.

قال: فعلتني هيبته ودخل قلبي محبته، ثم أقيمت الصلاة فلم يصل مع الناس الجمعة، فكبر علي ذلك من أمره، وتعجبت من حاله، وغاظني فعله.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ١ / ٢١٩

(٢) قال محمد بن طاهر الهندي: دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج: بمفتوحة، فساكنة مهملتين، وفتح لام، وبجيم، وفي موضع آخر: بكسر دال. والله أعلم. المغني في ضبط الأسماء لرواة الأنباء صـ١٢٣

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣١.

فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه، وقلت له: أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها؟

فقال: يا هذا إن لي عذراً وبي علة، منعتني عن الصلاة، قلت: وما هي، فقال: أنا رجل على دين اختفيت في منزلي مدة بسببه، ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة، فقبل أن تُقام، التفت، فرأيت صاحبي الذي له الدين عليّ ورائي، فمن خوفه أحدثت في ثيابي، فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت عليّ وكتمت أمري.

قال: فقلت: ومن الذي له عليك الدين؟ قال: دعلج بن أحمد، قال: وكان إلى جانبه صاحبٌ لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه، فسمع هذا القول، ومضى في الوقت إلى دعلج، فذكر له القصة، فقال له دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام، واطرح عليه خلعة من ثيابي، وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك.

فلما انصرف دعلج إلى منزله، أمر بالطعام فأحضر، فأكل هو والرجل، ثم أخرج حسابه فنظر فيه، وإذا له عليه خمسة آلاف درهم، فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقده، فقال الرجل: لا.

فضرب دعلج على حسابه، وكتب تحته علامة الوفاء، ثم أحضر الميزان، ووزن خمسة آلاف درهم، وقال له: أما الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وبينك فيه، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف الدرهم، وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع، توفي دعلج بن أحمد سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة.[1] فرحمه الله تعالى.

٨- أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي، ت ٤٨٩ هـ:

---

(١) تاريخ بغداد ٩ / ٣٦٦

هو الشيخ، العالم، المعمر، مسند الوقت، رئيس أصبهان ومعتمدها، أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي، الأصبهاني، صاحب (الأربعين والفوائد العشرة) ولد: سنة سبع وتسعين وثلاث مائة، وأول سماعه في سنة ثلاث وأربع مائة، ورحله أبوه في صباه إلى خراسان، والعراق، والحجاز، ولقي الكبار، وروى الكثير، وتفرد في زمانه، وكان صدرا معظماً، قال السمعاني: كان ذا رأي وكفاية وشهامة، وكان أسند أهل عصره، وأكثرهم ثروة ونعمة وبضاعة ونقدا، وكان منفقا، كثير الصدقة، دائم الإحسان إلى الطارئين والمقيمين والمحدثين، وإلى العلوية خصوصاً، كثير البذل لهم، عزل في آخر عمره عن رئاسة البلد، وصودر، فوزن مائة ألف دينار حمر، لم يبع لها مِلكا، ولا أظهر انكساراً، قال السِّلفي: كان الرئيس الثقفي عظيماً، كبيراً في أعين الناس، على مجلسه هيبة ووقار، وكان له ثروة وأملاك كثيرة وكان يبر المحدثين بمال كثير؛ رحلوا إليه من الأقطار، مات الرئيس: في رجب، سنة تسع وثمانين وأربع مائة، وهو في عشر المائة.(١)

والحمد لله رب العالمين

النتائج:

- يجوز للحاكم أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء؛ ليكفلوهم ويعينوهم ويواسوهم بأموالهم أيام القحط.
- ظهر أن أغلب المحدثين لم يكونوا من أصحاب الثراء الفاحش بل كانوا من المستورين.
- اتخذ غالبية المحدثين المهن؛ ليكفوا أنفسهم الدخول على الحكام.
- تنوعت مهن المحدثين بين التجارة، والصناعة، وقيادة السفن (قبطان)، والبقالة.
- بذل المحدثون جهوداً تذكر فتشكر في توضيح السنة وحث الناس على الإنفاق والصدقة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٨ وما بعدها، ولم أجد النقول عن السمعاني أو السلفي.

- الأثرياء من المحدثين أنفقوا مالهم في مساعدة الناس وخصوصاً المحدثين منهم.

- كانت أحول المعسرين من المحدثين أيام الغلاء والقحط متنوعة، تدور حول: الاستفادة من مهارة الزوجة في الصناعات المنزلية، واستخدام فلسفة الاستغناء عن السلعة، واستبدال الطعام الرخيص بالغالي، والتصبر، والانشغال بالأذكار وقراءة القرآن الكريم، والاستعانة على القحط بالدعاء والاستسقاء.

-كان الأثرياء من المحدثين يتفننون لإيصال المال أو الغذاء أو كليهما للمتعففين منهم.

التوصيات:

- على أولي الأمر مواجهة جشع التجار بالقوانين الحازمة وتنفيذها على المخالفين.
- التواصي بالبر والتقوى ومساعدة المحتاج.
- تفقد المتعففين من الناس وتلبية حوائجهم.
- نشر ثقافة الاستغناء عن الغالي من الطعام
- نشر فلسفة استبدال السلع الرخيصة بالغالية

والحمد لله رب العالمين

قائمة بأهم المراجع

- إصلاح المال لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل ت ٥٤٤ هـ تحقيق شيخنا أ. د/ يحيى إسماعيل حبلوش، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

- الأنساب لأبي سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن- تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني - الهند الأولى ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢م

- الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر عون الدين يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، ت ٥٦٠هـ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، طبعة دار الوطن، ١٤١٧هـ.

- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤ هـ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

- تاريخ ابن معين رواية الدوري، والمسمى بالتاريخ والعلل عن يحيى بن معين ت ٢٣٣هـ رواية: العباس بن محمد بن حاتم الدوري ت ٢٧١ هـ تحقيق محمد بن علي الأزهري، طبعة دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

-تاريخ أصبهان أو أخبار أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) تحقيق سيد كسروي طبعة دار الكتب العلمية - بيروت الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ تحقيق عمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

- تاريخ الثقات لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي ت ٢٦١هـ، طبعة: دار الباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م

- تاريخ بغداد مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ تحقيق د. بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي بيروت الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م

- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م

- تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وضع حواشيه: زكريا عميرات طبعة دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان- الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨

- تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة طبعة دار الرشيد سوريا ١٤٠٦ هـ

- تلخيص المستدرك لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، ت ٧٤٨هـ، وهو بهامش كتاب المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ، بيروت، طبعة دار المعرفة.

- تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ طبعة مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف ابن الزكي عبد الرحمن المزي ت ٧٤٢هـ، تحقيق الدكتور بشار عواد بيروت طبعة مؤسسة، السادسة ١٩٩٤م.

-التاريخ الأوسط (مطبوع خطأ باسم التاريخ الصغير لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) تحقيق محمود إبراهيم زايد طبعة دار الوعي مكتبة دار التراث - حلب القاهرة، الطبعة: الأولى ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.

- التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت ٢٥٦هـ ، بيروت، مؤسسة الكتاب الثقافية، بدون

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري، طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر: ١٣٨٧ هـ

- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ت ٨٠٤ هـ تحقيق د. جمعة فتحي وآخرين، طبعة دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، من إصدارات وزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣هـ تحقيق أبي الأشبال الزهيري طبعة دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المشهور باسم تفسير الطبري لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) توزيع دار التربية والتراث -مكة المكرمة -الطبعة: بدون تاريخ نشر عدد الأجزاء: ٢٤.

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي الدمشقي العلائي ت ٧٦١ هـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه، المعروف بين العالمين باسم: (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، طبعة دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ت ٣٢٧هـ، بيروت، طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٨٨م

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت. بدون

- الزهد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام

شاهين طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ، دار الريان للتراث ١٩٨٨م

- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر جـ١، ٢، ومحمد فؤاد عبد الباقي جـ ٣، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف جـ ٤، ٥، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م

- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م.

- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨ هـ، طبعة دار المعرفة، الرياض. بدون.

– السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى الحلبي بدون.

– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨هـ) تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي طبعة دار طيبة– لطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

– شرح صحيح البخاري لابن بطال لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ت ٤٤٩ هـ تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة مكتبة الرشد الرياض، الثانية ١٤٢٣هـ

– شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت ١٤٤٣ هـ] أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي [ت ١٤٢٨ هـ]، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند طبعة الناشر: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الأولى، ١٤٢٣هـ

– الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان طبعة دار الوطن – الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

– صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦–٢٦١ هـ) تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م

– صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق أحمد بن رفعت بن عثمان وآخرون بترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى طبعة دار الطباعة العامرة – تركيا ١٣٣٤ هـ

– طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤ هـ) تحقيق أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الثانية الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

- طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ) وأكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم الكردي ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (ت ٨٢٦هـ) طبعة الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي وغيرها)

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المعروف بابن العربي ت ٥٤٣ هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: تأليف شيخنا وشيخ مشايخنا فضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف الأسبق رحمه الله تعالى «ت ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م» طبعة دار الشروق القاهرة

- فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) طبعة المكتبة التجارية - مصر الأولى ١٣٥٦ هـ

- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، طبعة المكتبة السلفية - مصر، الطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ

- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥هـ، تحقيق يحيي مختار غزاوي بيروت، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٨م

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني (ت ٧٨٦هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان الطبعة الثانية ١٤٠١- ١٩٨١م

- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، طبعة دار البشائر الإسلامية، الأولى، ٢٠٠٢هـ

- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ) تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب طبعة دار النوادر، سوريا الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ) تحقيق محمد فواد سزگين طبعة مكتبة الخانجى – القاهرة ١٣٨١ هـ

- مسند الشاميين للأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٤

- معالم السنن، شرح سنن أبي داود المؤلف: لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) المطبعة العلمية - حلب - الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

- معرفة أنواع علوم الحديث المشهور بين العالمين باسم مقدمة ابن الصلاح، لأبي عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري ت ٦٤٣هـ، تحقيق د. نور الدين عتر، سوريا طبعة دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٨٦م

- معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) تحقيق السيد معظم حسين طبعة الكتب العلمية - بيروت الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

- مناقب الإمام أحمد لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي طبعة دار هجر الثانية الثانية، ١٤٠٩ هـ

- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني أبو موسى (ت ٥٨١هـ) تحقيق عبد الكريم العزباوي طبعة جامعة أم القرى، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨م

- المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ت ٢٤١ هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن نعيم الضبي المعروف بالحاكم، ت ٤٠٥هـ، بيروت، طبعة دار المعرفة، بدون.

- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١ هـ تحقيق مركز البحوث بدار التأصيل، طبعة دار التأصيل، القاهرة، الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

- المصنف: للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي ت 235 هـ ضبطه وصححه ورقم كتبه وأحاديثه الأستاذ محمد عبد السلام طبعة دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٩٩٥م

- المغرب في ترتيب المعرب لناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت ٦١٠هـ) طبعة دار الكتاب العربي بدون

- المُعْلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ) تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي طبعة الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الثانية، ١٩٩١م

- المغني في ضبط الأسماء لرواة الأنباء لمحمد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٧٦) تحقيق زين العابدين الأعظمي طبعة الرحيم أكاديمي - كراتشي - باكستان ١٤٢٨هـ

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) تحقيق: محيي الدين ديب ميستو- أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، طبعة (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا طبعة دار الكتب العلمية، بيروت الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت - الثانية، ١٣٩٢ هـ.

- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) تحقيق وتصحيح مجموعة من الباحثين معهم الشيخ محمد عوامة طبعة مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م.

- النهاية في غريب الحديث: للإمام مجد الدين أبي السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ت ٦٠٦ هـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

- هدي الساري مقدمة فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، طبعة المكتبة السلفية - مصر، طبعة السلفية، الأولى، ١٣٨٠ هـ.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ٨٢٥
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٨٢٦
مقدمة..... ٨٢٨
المبحث الأول: الجانب العلمي، عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط. ٨٣١
المطلب الأول: الدور العلمي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط..... ٨٣١
المطلب الثاني: هل يجوز للحاكم أن يقوم بتوزيع الفقراء على الأغنياء؛ ليكفلوهم ويواسوهم بأموالهم أيام المسغبة؟..... ٨٤٧
المبحث الثاني: الجانب العملي عند المحدثين لمواجهة الغلاء والقحط. ٨٥١
المطلب الأول: الدور التطبيقي للمحدثين في مواجهة الغلاء والقحط..... ٨٥١
المطلب الثاني: حال بعض المحدثين أيام المسغبة والغلاء:..... ٨٦٢
المطلب الثالث: نماذج من المحدثين الأثرياء وجهدهم في مواجهة القحط والمسغبة. ...٨٦٧
النتائج:..... ٨٧٧
التوصيات:..... ٨٧٨
قائمة بأهم المراجع..... ٨٧٩
فهرس موضوعات البحث ٨٨٨

تم بحمد الله تعالى